خفايا علوم الإيزوتيريك

صاحب الهدف لا يشكو ملاً أو تعباً لأن في السعي نحو الهدف لذة عظيمة

وعي الهدف
أهم مبادئ الوعي الحياتي

بقلم بول أبي درغام
www.esoteric-lebanon.org

الكون سفينة ضخمة تشخر عباب الفضاء.. وكل فرد من أفراد طاقمها يقوم بمهمته على اختلاف أهميتها.. إبحاراً بهذه السفينة نحو مطلق الوجود.

كل حركة في هذا الكون، منظورة أو غير منظورة، محسوسة أو غير محسوسة، تؤدي الى نتيجة. فما من فعل من دون ردة فعل، وما من حركة دونما هدف. إذاً، فمن الذرة إلى المجرة، الكل في حركة دائمة.. الكل وُجد من أجل هدف ما وهو يعمل واعياً او غير واعٍ لبلوغ هذا الهدف.

في ضوء ما تقدم يمكننا ان نعرّف الهدف بأنه محور الفعل.. فالفعل وليد الحركة والحركة ناموس الخلق.. والهدف يوحد المقدرات والمجهود باتجاهه. إنه يحث المرء لا ارادياً على ضبط إيقاع مكوناته الباطنية وخاصة الفكر لتتضافر من أجل تحقيق الهدف.

استمرارية لما كان قبله، الوحدة مجموعة اجزاء، و «التطور استمرارية من دون انتهاء»، وكما كل وجود من منطلق مفهوم «الوحدة مجموعة اجزاء، و «التطور استمرارية من دون انتهاء»، وكما كل وجود يصب في الهدف الأكبر.

من المهم التمييز بين الغاية والهدف. فالغاية غالباً ما تكون مادية وتخص صاحبها فقط، وقد لا تكون دائماً ايجابية الاتجاه.. اما مفهوم الهدف، فهو أكبر واشمل وأسمى.

قد يكون الهدف معنوياً، وقد يكون أيضاً باطنياً خاصاً يتعلق بتطور صاحبه، أو ذا منفعة عامة. قد يرتقي الهدف ليتخذ شكل مهمة، (وهنا نحدد معنى «مهمة» بما يخدم درب معرفة الإنسان لنفسه ولهدف وجوده)، أو حتى قد يسمو الهدف ليتخذ شكل رسالة إنسانية واسعة.

في كل من الحالات السابقة الذكر هناك صفة يتميز بها المرء، فتُحَدِّد في ضوئها طبيعة تعاطيه مع هدفه وكيفية العمل باتجاهه. فصاحب الغاية يعمل من باب الواجب، وصاحب الهدف يعمل من باب المسؤولية. أما صاحب المهمة فهو يتميّز بالالتزام، وصاحب الرسالة يكرّس نفسه لها..

هدف الخليقة

لعملية الخلق هدف من أجله تكوّنت الأكوان. مع تدرك شعاع الروح وانعكاسه في عالم النفس البشرية، تشكلت عوالم وتكوّنت مسارات وامتدّت دروب تحتّم سلوكها للعودة الواعية - الهدف الأكبر لكل شعاع من أشعة الروح. على الأرض، لكل عمل هدف يتم تحديده مسبقاً في ضوء مخطط منهجي يرسم الطريق المؤدية إليه. فثلاثية «منهج - طريق - هدف» هي من ركائز وأسس أي حركة سواء كانت أرضية أو كونية.

هنا نتساءل: ما هو الدور الذي يلعبه الفكر في تحديد الهدف ووعيه؟ وما هو دور الإرادة؟

الهدف إنجاز بالقوة، أي هو بحاجة إلى تفعيل، إنه محور المخطط. وتحديد الهدف والتخطيط له ورسم تفاصيله أمور فكرية محض، تتطلب ذهناً متوثباً وتركيزاً عالياً وتسلسلاً منطقياً. فالفكر ركيزة العمل على الأرض، والهدف محور هذا العمل. هكذا يمكننا الاستنتاج أنّ الفكر يشكل المنهج في ثلاثية منهج-طريق-هدف. فيما الطريق هو الممارسة، تطبيق المخطط عملياً لبلوغ الهدف.

أما دور الإرادة على صعيد النفس الدنيا فيترجم مثابرة ودعماً للفكر في مواجهة أي فشل قد يعترض طريق صاحبه. فالخطأ في التنفيذ وارد. وقد تشكل الصعوبات محطات تتمثل بالتخلص من سلبية معينة على درب الهدف،

إذ إنها نتيجة نقصان ما أوجده المرء بنفسه، ما يجعل الإرادة تتدخل عبر الفكر. وهذا ما يحثّ على الاندفاع مجدداً ويخلق الطاقة اللازمة للخروج من الأزمة. أما الإرادة السامية، فقد تتجسد قوة خلاقة في سبيل هدف نبيل على غرار ما حصل مع بطل كتاب الإيزوتيريك «رحلة إلى عالم المجهول» بقلم د. جوزيف مجدلاني، عندما أنقذ الفتاة من على شفير الهاوية.

إنّ وضع هدف معيّن، والتخطيط لبلوغه، والعمل على تنفيذ المخطط، والمثابرة والعزم عند ظهور الصعوبات، يستجلب دعماً يعتقده المرء خارجياً.. يدلل هذا الدعم العقبات، يقدّم فرصاً لم تكن في الحسبان ضمن المخطط المرسوم، فيتحقق المراد وتقصر المسافات وتنفتح الأبواب على خيارات جديدة.

نتساءل هنا: ما الذي حدث حتى تحلحلت المعضلات وأتيحت الفرص وتحقق النجاح أسرع من المتوقع؟ وما هو مصدر تلك المساعدة؟ قد يعزو البعض ذلك إلى حسن الحظ والمصادفة السعيدة.

في هذا السياق، تشرح علوم باطن الإنسان • الإيزوتيريك بأن لهذه المساعدات أو لهذا التحكم الايجابي في مجريات الأحداث مصادر عدة وآليات عمل تختلف بحسب أهمية الهدف ومستوى الإنجاز.

التنظيم الداخلي والخارجي

على صعيد الحياة العملية وما يتعلق بها من أهداف أوليّة بسيطة، فإن مجرد التنظيم الخارجي ينعكس انتظاماً باطنياً للجسد ولأجسام النفس، فتتسهّل الأمور وتتم الإنجازات بانسيابية. هذا وكلٍ من يسير على درب المعرفة مدركاً هدفه ومقدراً لقيمة الوقت، محافظاً على وقته وعلى وقت الآخرين أيضاً، فسيشعر بانتظام الأحداث وتوقيتها الدقيق والملائم. وما هذه اليد المساعدة سوى ارتقائه فوق دائرة المنغصات العملية نتيجة «رفع ذبذبة أعماله» أو استنهاض تفكيره وتصويبه نحو الهدف.

على صعيد الأهداف المتعلقة بالتطور الباطني للإنسان، تعتبر التجارب والأحداث الحياتية المساهمة في هذا التطور، تعتبر تظهيراً لمستوى وعي أجهزة الوعي لدى الفرد، فتتمثل المساعدة بإدراك المرء الهدف من هذه التجارب. بذلك يتبدّد الخوف والتردد والقلق من التجربة المستجدّة، فينطلق الفكر ليجد الحل الأنسب في الوقت الأقصر.

وكلما كان الهدف نبيلاً يتضمن الإفادة للغير أو لأكبر عدد ممكن من البشر، انطلق الفكر أبعد وأبعد.. وكلما شفّت الحجب ما بين النفس والذات أصبحت رسائل الذات الموجّه للفكر البشري.. ومع ارتقاء الهدف، يتحوّل الاستلهام إلى إيحاء ثم إلى مشاهدة.

ومع التقدّم على درب الوعي الذاتي الحياتي، تصبح هذه الأحداث المتفرقة أكثر تسلسلاً واستجابة للإرادة من دون أن تخلو من تشعبات جانبية تتجسد في تجارب ومصاعب مختلفة في الحياة اليومية، وفي التعاطي مع الآخرين.

مصدر المساعدة الداخلية

إذاً، مصدر المساعدة داخلي مرتبط بالمرء وحده. هكذا وضع النظام المنهج الذي بموجبه نسير نحو الهدف. لكن بطبيعة الأمر، هذا لا يلغي الاستثناءات.

فإنّ القول المعروف «ساعد نفسك تساعدك السماء» يركّز على أهمية العمل وصبّ المجهود الفردي باتجاه الهدف، وليس فقط على الابتهال وطلب المساعدة من «السماء». وما هذه السماء سوى عالم الحقيقة في الإنسان - سماء كل إنسان، ذاته الإنسانية.

على صعيد آخر، وربطاً بالمبدأ الإيزوتيريكي القائل إنّ الذبذبة روح الذرة ومحرك جزيئاتها، وإنّ الشمس في نظامنا مصدر كل طاقة منظورة ولا منظورة، نستنتج أن الهدف هو مصدر طاقة العمل باتجاهه. واستطراداً، فإنّ الهدف الأكبر هو مصدر الطاقة الكبرى للأهداف الصغرى التي هي بدورها محرّكة التفاعلات الباطنية والأحداث الحياتية المتعلقة بها.

طاقة الهدف

إذاً، الهدف مصدر طاقة الحركة، ما يوضح أنّ في الهدف طاقة كامنة، تتفاعل مع وعي المرء له، وتبدأ باستدراجه نحوه (الهدف) على غرار المقولة بأن الجواب يكمن في الباطن، وهو ما يدفع السؤال إلى وعي الظاهر. وأيضاً كما ورد عن تفتيح رقائق الوعي «سيلاحظ المرء مع الوقت أنّ الغشاء المتفاعل نظرياً يزوده بالزخم والعزيمة ليسهل عليه التعاطي مع الغشاء الذي يليه».

إذاً، وعي الهدف يحرّك الطاقة الكامنة فيه لتتفاعل مع الكيان الباطني فيوضع المنهج ويبدأ التطبيق.

أما بصدد الهدف الأكبر، فالكل يسير باتجاهه. البعض يسير واعياً والبعض الآخر يوجهه نظام الحياة. من يسير واعياً يسلك درب القدر، ومن لا يعي وجهته يتيه في تشعبات المصير. مَن

يسلك درب القدر، يحدد بنفسه أهدافه الحياتية التي تساعده على بلوغ وجهته، ويعمل ويجد في سبيل تحقيق هذه الأهداف. أما الذين يسلكون درب المصير، فتقتصر أهدافهم على الخروج من المآزق التي تتسم بها تشعبات المصير، والتخلص من المنغصات التي هي نتيجة طبيعية للتوغل في مجاهل هذا المصير.

كما يشرح هذا كتاب (تعرّف إلى وعيك): «الذبذبة الواعية تدخل الذرّة بإرادتها، وتخرج منها بإرادتها.. والذبذبة غير الواعية تدخل وتخرج بإرادة نظام أرقى وعياً منها.. إلى أن تتعلّم كيف تعي نفسها بنفسها!». وهكذا الإنسان.

الوعي يصقل الباطن

لوعي أهمية الهدف وتحديد الأولويات والتخطيط الهادف مستلزمات ومقدرات نفسية وعقلية تبدأ من التركيز الذهني، من الفكر المنفتح والمتوثب، ومن التجرّد والصدق مع النفس أولاً، ثم الحد من ظهور الأنا، إضافة إلى المواجهة والاحتواء والحكمة، من دون أن ننسى إعطاء كل حق حقه. هذه المستلزمات يكتسبها وينمّيها المرء وهو في طريقه نحو الهدف. وقد تكون كل من هذه المستلزمات هدفاً مصغراً لفترة من الزمن. لكن مما لا شك فيه أنّ وعي الهدف عن طريق المعرفة والعمل باتجاهه يصقل الباطن الإنساني فيتألق الظاهر تلقائيا وتسهل الأعمال الأرضية وتهون الحياة العملية.

إنّ الهدف الأكبر للإنسان هو الوعي والتطور للنجاح في مناحي الحياة عامة. ومن ثم تحقيق العودة الواعية وتوحيد النفس والذات استعداداً للتطور الروحي الصرف.

عملياً على الأرض، من أكبر الأهداف التي يسعى المرء إلى بلوغها هو تحقيق «عنوان حياته»، أي أهم ما وجد لتحقيقه في الحياة.

هنا تكمن أهمية الانطلاق من الواقع كأرضية حالية نحو أبعاد أسمى وأرقى وذلك بإتباع آلية معينة لتحديد الأهداف وتسلسلها. تبدأ هذه الآلية بتحديد الأولويات، ثم بتقييم موضوعي متجرد للمقدرات والطاقات التنفيذية وصولاً إلى تحديد المهلة الزمنية ضمن إطار مُخطّط شامل يتناول في بادئ الأمر الخطوط العريضة لهذا المخطط، يليه رسم للتفاصيل المؤدية في نهاية الأمر إلى بلوغ الهدف. إتباع الآلية السابقة والمثابرة على تطبيق المخطط يحولان دونما بقاء الهدف «جزيرة فضائية»، أي مجرد عنوان من دون مضمون.

الهدف وتفاعل الكيان

الهدف يخلق حركة تفاعل في الكيان تبحث في الداخل والخارج عن كل ما هو مساند وداعم لها، فتتفتح المدارك على كل ما له علاقة بالهدف.

ومن دون هدف محدد، يغدو العمل مجهوداً مبعثراً ينتج عنه تشعّبات متفرقة قد لا تخدم تطوّر صاحبها. إذ إنها أشبه بمن ابتدأ بعدة أعمال، إنما لم ينجز أيا منها. وهذا النقصان يُعتبر سلبية كبيرة على الكيان الباطني.

فعلاً، قد نقع أحياناً ضحية الأنانية وضحية بقائنا في أطر التنظير. وذلك بحجة التحضير المطوّل لعمل غير اعتيادي، والتمادي في دراسة المعطيات بحجة كبر هذا الهدف وأهميته، فنأبى أن نتخذ أهدافاً متواضعة، أهدافاً منطقية وقابلة للتحقيق. فتأتي أهدافنا جُزُراً مستقبلية معزولة عن واقع حياتنا ومستوى وعينا الحاضر.

أهم ما في الهدف، قابليته للتنفيذ.. وأهم ما في التنفيذ الإتقان.. وكل ذلك ضمن أطر المخطط الموضوع وفي الوقت المحدد للتنفيذ.

فالهدف غير القابل للتحقيق هو أسوأ من عدم تحديد الهدف أو البقاء دونما هدف، لأن في ذلك خطأ مزدوج: الأول يتمثل بعدم إتباع الآلية لتحديد الهدف، ما ينمّ عن قصور فكري وغياب التسلسل المنطقي، ناهيكم عن «انتفاخ الأنا». والثاني وهو الأخطر، عدم احترام العهد بين

النفس والذات الذي يمثله كل هدف يحدده المرء ويجهد لتحقيقه.

أخيراً نورد النقاط التالية كاستنتاجات وملخص لما ورد سابقاً:

- ما من حركة من دون هدف، فحتى للسكون هدف.
- من ساعد نفسه ساعدته ذاته.
- الهدف عهد بين النفس والذات، والذات لا تنكث العهود.
- صاحب الهدف لا يشكو مللاً أو تعباً لأن في السعي نحو الهدف لذة.
- الهدف هو مصدر الطاقة اللازمة لبلوغه، هو نور يرشد السائر نحوه.
- الهدف نقطة تركيزنا، نحوه تُصوَّب الأفكار والمجهود.
- الهدف محور الفعل، والفعل وليد الحركة.

وفي الختام نقول إنّ وعي أهمية الهدف، وليس فقط تحديده، هو بحد ذاته من أهداف الوعي. فالوعي الحق ليس تراكم المعرفة مع الوقت.. الوعي الحق ليس اجتياز تجربة والتعلم منها فقط.. إن الوعي المكثف والذي يشكل وعياً فاعلاً في المستقبل يساعد على تحقيق أهداف مستقبلية، هو الوعي المتكامل الناتج عن اجتياز كل التجارب الحياتية المتعلقة بهدف محدد.

وإلى أن يتضح لنا العنوان الأساس لحياتنا، فلنجعل من حياتنا سلسلة أهداف تكشف الوعي في حلقات متسلسلة، فينجلي الضباب شيئاً فشيئاً عن الهدف الأكبر، هدف كل إنسان.

إن هذه المقالة المختارة من كتاب «حصاد في الإيزوتيريك..» تشكّل مثالاً لما ورد عن مفهوم الهدف، إذ إنها ثمرة عمل جماعي لمجهود فردي شكّل شراكة أدبية تتمحور حول هدف واحد، معرفة تطوير الإنسان.. هدف جمع اثني عشر طالباً ملتزماً رغم اختلاف اختصاصاتهم العلمية والمهنية، وتفاوت خلفياتهم الاجتماعية والثقافية، فاجتمعوا حول مبدأ التطور في الوعي، عبر المعرفة التطبيقية، وتشاركوا سوياً في إنجاز ثمار خبراتهم الحياتية الجديدة في ضوء مفاهيم الإيزوتيريك.